

محمد حبيبي

# أُطْفِئُ فَنَوسَ قَلْبِي



نصوص شعرية  
٢٠٠١ - ١٩٩٦

# أُطْفَىءُ فَا نُوسَ قَلْبِي

نصوص شعرية

٢٠٠١.١٩٩٦

محمد حبيبي

إلى شجرة الشَّعْرِ العَيْنِيَّةِ  
ناصر القاضي

محض كلام

## مشابك

نَحْلُمُ

نَ خ لُ مٌ ، نَحْلُمُ ، نَ خ لُ مٌ ، نَحْلُمُ ..

في الصبحِ نَحْمِلُ أعلامنا لنجفّفها

وكي لا تطير بعيداً

ننتبّها بمشابك

المشابك

مخضّ كلام ...

...

سنةً كاملةً ننتظرُ ،  
ننزع ورقات التقويم  
بدلنا قطعاً أثاثٍ ، ديكوراتٍ  
لبسنا الأطفال جديداً ثيابٍ  
أترعنا علب الحلوى  
لم يتبق سوى البسمات  
أصقناها

ومضينا مع فرحة أطفال

العيدُ

## نصوص البيت

## الشقة

ضيقة جداً تلك الشقة  
لم نتخيل  
أن نفرش كل زواياها ردهاتٍ فارهةً ل... الحُب  
سنواتٍ وهي تراقبُ ... لم تتطَقْ  
حتى استقبلنا أولَّ عصفورين  
انتبهتُ جنابُ الشقةِ صارتُ  
تتوسَّعُ  
.. أكثرَ .. أكثرَ ..



حينَ بدأنا لَمَّ الضحكاتِ ،  
السنواتِ العشرِ ،  
شجاراتِ ،ننسى، كانتُ تطويها  
هياًنا بضعِ حقائبِ وبدأنا نحزُمُ  
لَمْ تكنِ الشنطُ عن الأمتعةِ تضيقُ ،  
العلاقاتُ المدهونةُ بروائحنا ما كانتُ تتخفّفُ منّا ،  
والغرفُ اللاتي ما زالتُ دافئةً من حمى الأطفالِ ،  
حيطانُ الشقةِ من أخذتُ تتضيقُ  
أكثرُ..أكثرُ..

فَكَّرْنَاهَا عَادَتْ  
تَتَهَيَّأُ عَشَاءً يَسْتَقْبِلُ طَيْرِينَ عُرُوسِينَ  
لَكِنِ الشَّقَّةَ ،كَانَتْ أَلْفِتْنَا .. أَكْثَرَ .. أَكْثَرَ ،  
لَمْ تَعْبَأْ أَنْ نَلْمَحَ سَيْقَانَ حَوَائِطِهَا تَتَجَرَّدُ  
.. أَعْلَى .. أَعْلَى ..  
حَتَّى الصَّدْرُ

حَمَمًا إِغْوَاءً ،  
فَأَخَذْتُ أَقْلَبُ عَيْنِي ،  
أَفْتَشُ عَنْ فَتْتِهَا  
وبوسط الأنفاسِ المضطربة  
أسرع .. أسرع ..  
أبصرناها واضحةً .. جداً ..

أضلاعُ الشقةِ  
كانت تتكسّر

## سُونُز

هذا البيتُ  
أخفَّ ضجيجاً  
إذ ليس له جيرانُ  
أو ضوضاءُ فضولٍ تتلصصُ  
فالبوابَةُ لم آلفها بعدُ  
لم أعتدُّ أن تسرقَ ثرثرةُ الحارسِ  
،يبسمُ دوماً،  
لحظَاتِ رفيفِ الأُكْرَةِ بين يديّ،  
إصغائي لهسيسِ المفتاحِ إليها ،  
قبل يداهم حصنَ البابِ

للبيتِ حديقته ،  
وزهورٌ ،تسرقني،  
فتَحَّتِ الحَقْدَ بعينِ صغاري ،  
للبيتِ فناءً تزرعُهُ دراجَةٌ طفلي  
مراتٍ يلطمها الحارسُ  
مراتٍ يلطمُهُ السَّورُ

## الغرفة

ديوانٌ تقرأه الظلمة  
أنفاسُ صغيراي المسارعة  
تصعدُ .. تهبطُ  
شرشفُ شعري يتفرشُ نصفَ سريرِ  
شغبٌ يهجعُ بطفولةٍ مملكةٍ نعستُ  
الإسفنجةُ لخطَّ تمصَّ خريزَ الأحلامِ يوقّعها طفلاي  
(ليلَ حبالِ الخوصِ تشي بي صبّحاً)  
أفكارُ صغيراي الرطبةِ دافقةً  
أقرأها الآن  
من تحتي تنسربُ  
بمأمنُ

وسام

فُرحْتُهُ  
بالمكتبِ ذي الأدراج المنزلة  
بسريِرِ الأطفالِ بمرتبة الإسْفنجِ  
الدولابِ الزاهي بالألوانِ ...  
هل كانتُ مثلي  
يوم انتزعَ أبي خشباتِ صناديقِ الشاي  
ليسَمِرَ دولابي  
الأولُ ؟

## جدران

ثُمَّ حنينٌ يجذُرُ أن نحملةُ  
ألا نبصرَ عزيّ الذكرى ، وقعها من رحلوا ،  
مكثرين لأشياء كثيرة ، نتعبُ من لصق الأوراق ...  
الجدرانُ جلودٌ ندبُغها  
، شهقاتٍ ، فتحاتٍ مساميرٍ ، ضحكاتٍ ...  
عاريةً  
نتركها .. تنتظرُ ..



## خطوات

المصعد قبر الخطوات  
العشب النائم وسط حديقته يتأذى من وقع كواحلنا  
الأرصفة تواقع الأرجل تكنسها الريح  
لتبقى الدرجات شواهد من عبورها

ة

عد

صا

.. ها

بط

ة

سنواتٍ مقصوصة

قوالبٌ للأعمار التزقت واحدةً تلو الأخرى

## هجر

الثوبُ البالي  
لحفيبِ اللامعِ نتركهُ ،  
الإصبعُ تمتدُّ مغادرةً طرفِ حذاءٍ مقطوعٍ ، نستبدلُ ،  
بيئُ الطينِ

حكايا الجداتِ فناجيناً تتحسّرُ  
"حناتيل" طفولتنا المتروكةِ ، فارغةً ،  
تتمرّجُ تحت أهارجِ  
الأقدامِ  
المهجورةِ

## أشجار

### ١. خوف

لم نجرؤ يوماً  
أن نبتلع البذرث  
كنا نخشى  
أن تتبّت داخلنا الأشجارُ

## ٢. حوائط

كم نجهدُ لشجيراتِ  
لا ظلَّ بها ، أو ثمرٍ ،  
محضُ حوائطَ  
نزرعها  
لمقاصِّاتٍ تتسلى

### ٣. المخبأ

"الإبرية" بالساقِ العالى ،  
الأوراقُ الموصوفة للمرضى  
مخبؤنا من فزكة أذنٍ ، أنَ البيضاتِ المسروقةِ  
سالتُ من عُشِّ يتدلَّى ،  
الإبرية ذات الساقِ العالى  
حتى لو عُرسَتْ ثانيةً  
وحقناً الأعصانَ لتتمو  
من يقنعُ عصفورَ  
بيوتاتِ الطينِ  
ليبينها الأعشاشُ ؟

## قازة

خذوا كلَّ شيءٍ  
زهورَ الحديقةِ ، هذا الفناء الوسيحَ  
خذوا الشرفاتِ ، الثرياتِ  
رجلاي ما ألفتُ حدَرَ الخطوِ في السرميكِ  
اخلعوا من جدارِ الرخامِ بلاطاته  
غرفةَ النومِ لا تدخلوا  
يُجرِحُ الكوميدينو بدُرجِ تنامُ به

انزعوا الأَجُورَاتِ  
لا تلمسوا دُرَجَهَا  
ربما حين أغرقُ وشطَّ الظلامِ  
أرى قمراً  
ظلهُ يتخلَّلُ خوصَ "القعادة"  
"حولي" الصغيرُ، سريرُ الطفولةِ،  
صحوي على الصوتِ في "دُبِّيَّة" الخَصِّ  
مربوطةٌ بالسريزِ  
صوتُ مكنسِ أمي بليلاً بقطرِ الندى

خذوا كلَّ شيءٍ ،  
فقطُ  
اتركوها ، كشاهدةٍ ،  
لمبةَ القازُ



صلصال یدمع

## صَوْر

### ١. مُوَدَّعة

إلى/ أحمد

وهي تهفُّ ذباباً  
تحلّق إبريقَ شايِ حنون ،  
وهي تنفخُ لهفتها ،  
وهي تبرّدُ رشقته بفناجينَ مريوشة ،  
وهي توغلُ وسطَ حقيبتِه رُزمةَ  
العشرات ، مذلوكَةً عنبراً ،  
وهي تنتفها بين ... ملتطمينَ بحرقتها ،

وهي تُدَقِّي ارتعاشَ ملابسه  
بيخور أصابعها  
وهي تشتمّ علاقةً فارغهُ  
وهي تربطُ أحشاءها  
وتلُفُ بـ"خُنَّتِها وَجَنَّةُ"  
تلمَّتْها المساريبُ ،  
وهو ينسلُّ من حضنِها  
وهي ترفو اصطفاقةً نعلِيه  
" ودَّعَتْ بِكُ ربي "

٢. علي حبيبي

تزهزُّ الدارُ  
وحشَّتْها

كلُّ ركنٍ  
يَطْقِطُ  
فيه حنينٌ

لأنفاسهم تترنُّحُ  
فوق البلاطُ

عَلَّقُوا ضَبْجَةً  
بِالْجِدَارِ  
تَلَوُّحٌ مِنْ غَبْرَةٍ  
فِي الْمَرَايَا

عَيُونٌ مَسْمَرَةٌ  
ذِي الْمَشَاجِبِ، فَارِغَةٌ،

صَنْدَلٌ بِالْخِرَازِنَاتِ  
يَهْجُرُ أَخْشَابَهَا

حوضُ الزهورِ  
يزرعُ نتفَ  
مواضعِ قُبَلاتهمْ

مُبَخَّرَةً ،بجراحاتها،  
ما يزالُ يجسُ  
الشراشفَ غيمِ أصابعها

في السريرِ وحيداً ،ينامُ،  
يلمُّ مواجِعَهُ :

: لن أشاجرهم ثانياً

لو هم ...

بل

أصبُّ

عيوني

نشأء

"مرزيبهم"

.

## ٢. شقيقة

إلى/صالحة

(١)

أحسنُ القصباتِ التي تنتقيها يداها  
نغافلُ أُمي لبعضِ شراشفها ،آنَ،  
دبّوسَ خصلتها نَزَعْتُ  
لتنثبِتَ كَنَلَةَ خِيَطِ  
على قصبتي  
شَعراً للعروسة



(٢)

كنثُ أدفعها للشقاوةِ دوماً  
لننتصف الصفعاتِ ،  
ترافقني للدكاكينِ ، حيث أمطُّ لها النصف  
من علكةِ المستكى  
و... أعلمها كيف تجلو  
البقايا بركنِ الجدارِ ،  
وقت يكفُّ غبارُ القرى  
مثل لصينِ نظراتنا ترتمي  
لقروشٍ تُطِلُّ ،  
لا أسامحها حين تقضمُ مرسمتي الفُكسُ ،  
مع أطفالها أقبَلتُ ...  
كغريبين صافحْتُها

## ياسمين

صغيرين

أكبرها

درفة الباب حانية

والجدار الصغير

ارتخى لشعاع كسول ،

أصابه حفرت غيرتي ، إذ تحف بغرتها ،

تتطاول فوق رؤوس أصابعها ،

ثوبها المتورد تجهد في شده

جهة الصدر ، حشو المناديل ، يظهر ..

آه

كم أنت فاتنة وشقية .

بالجيرة

، إذ لا تني قفَرها الدرجاتِ ،

أَمْسُ بُرودَ أصابعها الناحلاتِ ،

البياضُ المعلقُ للجيدِ متَّسِعٌ للكتابةِ

كنتُ بدأتُ أخطُ :

أُجب

صرخةُ أمكِ ، تطلق للريحِ ساقِي ،

نقطةُ الباءِ تشغلني ،

فتذكُرْتُ

أنكِ لم تعرفيها الكتابةَ بعدُ .

فَرِحَ بِالْقَصِيدَةِ ،لَلتَوِ أَنْجَزْتُهَا،  
" حَيْرَتِي إِذْ قَلَّتْ لِي ... "  
كَانَ هَمِي كَيْفَ تَرِيَنَّ الْقَصِيدَةَ  
فِي شُقُوقِ الْجِدَارِ أَحْسُ ضُلُوعِي  
حِينَمَا تَبْصُرِينَ الْجِدَارَ  
تَكُونُ الْقَصِيدَةَ

نفكّر كيف نرواغ كلّ العيون  
كنتُ واعدتها  
أن نطلّ سوياً إذا ما استدار القمرُ  
هم يصلُّون كي يظهر الغيمُ  
يومها كنتُ صليتُ أكثر  
كي يستدير القمرُ

للعطورِ غواياؤها  
عطرُكِ محضُ جنون  
ولكنَّ قَبِيئَةَ الياسمينِ القديمةِ  
مسروقةً من حَقِيبةِ أُمِّكَ ،  
وهي تعطرُ  
أولى الرسائل ...

## منمنمات الغبار

## نَمَش

في الطفولة آخيتُ بيت الدَّرَج  
لا يزال صراخي طلاء الحوائط ،  
لُطِّحُ الذكرياتِ مخشَّبةً ،  
وشظايا عصاً تستلذَّ بظهري  
قلت : أصدُ  
عَلَيَّ أشمُّ هجوعاً سيربو ،تركْتُ على الدرجات،  
صفارُ المصابيح يهتِكُ أسرارها  
مثلما نمشُ فوق باذخ تلّين تكشفُ عنه  
بدتُ لي حدود القرى



## وخل

بَجَعُ السَّدِّ

قاومَ وُخْلَ بحيرته ؛

غير مكرثٍ ، ما يزال قبيل الغروب يهاجرُ

فوق سماءِ البيوتِ

وصمتِ الحقولِ مجففةً ، من غناء الصغار ،

" طيرَ أمَ بحرٍ شاعديك وأعشيتك

وأذبخ لك راسَ أمَ ديك "

بجعُ السدِّ يخفقُ حيرته

ينثرُ ريشاته

زغباً موحلاً ليس "تدعكهُ" الكلمات

مطر

كلما يتهاطلُ

أَسْأَلُ :

كيف يصبونه؟!

ثم أَيُّ صفيحٍ منقَّبٍ

يطوِّحُ بالقطراتِ؟

## نَعَش

لم تكنُ محصّ أخشاب  
تلك الجنازةُ ،  
نثاراتُ ريشِ ترفُ ،  
مراكبُ طافيةٍ ،  
تلك حكمةُ جدّي  
تحسُّ وداعتها  
وحشةُ الميَّتين

"حَرِيمٌ"

"حَرِيمٌ" تَقَاصَمَنَ  
حَوْلَ فَنَاجِيَنَ تَفَرُّكُ أَذَانِهَا ،  
ذِيوُلُ الْعِبَاءَاتِ تَمَشُّطُ  
حِكْيِ الْأَرْقَةِ  
فِيمَا الْمَحْمَصُ مِنْ بِيَهِنَ  
تَطَايِرَ صَوْبَ فِرَاحِ ثَنَايَا تَمْضِيصُ غِيْبَةً  
جَارَةٌ

## حديث

جَرَّتَانِ يَشْفُ حَدِيثُهُمَا  
مِنْ تَتَاوُبِ بَابِ مُسِرِّ ، وَلِيْمُونَةٍ  
حَاصِرَتِهَا الْبَلَاطَاتُ ،  
الْخَشَبَاتُ الْعَتِيقَةُ تَصْفُقُهَا  
وَحَشَّةُ الرِّيحِ فِيمَا  
يَدَانِ عَجُوزَانِ . فَرَّتْ عَرُوقُهُمَا . مَسَّحَتْ  
رَعِشَةَ الْجَرْتَيْنِ طَرَاوَةَ حِنَائِهَا

حاجز

طائرُ البيتِ حَوَمَ  
من حَوْلِ شَبْكِ النوافذِ ،  
مرتطمٌ زَغْبُهُ بالصريرِ ،  
بينِ المواسيرِ  
خَلَفَ رَجْفَ عُصُونِ

## P

غُبْشَةً بَرْحَةَ الْبَيْرِ  
تَوْقِضُ أَعْشَابَهَا  
تَتَلَصَّصُ عَيْرَ ثَقُوبِ الدَّلَاءِ  
الطَّرِيقُ الَّتِي تَتْرَاقِصُ  
مِنْ لَمَعَانِ الْجَرَارِ صَبَايَا يَبْلُغُنَا بَضْفَائِرَ  
تَشْعُلُ فِتْنَتَنَا لُصَاكِعَ فَخَّارِهِنَّ  
تَوَرَّدُ وَجَنَاتِهِنَّ ،  
يَرْجُمُنَا بِهِشِيمِ الْجِرَارِ  
وَسَطَهَا بَرْحَةَ الْبَيْرِ  
تَلْمَعُ زَرْقَةُ لَوْحَتِهَا شَاهِدَةٌ ...

## قَبَاب

صوتُ جَرَّافَةٍ حَرَشَتْ  
تحتَه في الأليمِ عظامُ الطفولَةِ ،  
عُزْلاً، تساقطتِ الليناتُ مشبَّهَةً "مُضَّها" عبقَ الدَّومِ ،  
ناشفةً كثلثُ الرياحينِ ؛ إذ دُهستْ جِرَّةُ المستكِّي  
، نُحِفُ سيقاننا ، أُرَجَّتْها المصاحفُ ،  
وقتَ الخفافيشِ جافلةً حُبْنًا ،  
نَتَوَاطُؤُ  
، في عَقْلَةِ الشيخِ ،  
قفزاً على طولِ آيةِ  
بعصاهُ الطويلةُ يُحَسِّنُنا الصوتُ :  
عُصَاةُ !



## غبار

(١)

جرارٌ تُدَمِّعُ حَوْلَ طَرَارِيحٍ مِنْ لَبِنٍ  
رُذِمَتْ "نَقْشَاتِ نَخِيلٍ"  
عَلَى الرُّدْهَاتِ الجَرَارُ تَدَالِقُ  
مِنْ فَوْقِ أَكْتَاْفِهِنَّ ،  
أَكْفُ تَرَاعِشُ عَنَبَرَهَا ، الأَمْهَاتِ ،  
وَشَلًّا لِرِمَالٍ سَتِطْفِقُ  
عَمَّا قَلِيلٍ

(٢)

كشُرْفَةٍ بَيْتٍ تَهْدَمُ ،  
جِسْمٍ يَقَاوِمُ حُمَى ،  
ثَخِينُ السَّنَائِرِ يَنْزَاخُ  
تَبْدُو الْبَلَاطَاتُ سُبُورَةً تُنْبِشَتْ  
بِخُطَا الْعَابِرِينَ  
مَا تَزَالُ السُّوَافِي تَلُوبُ ،  
تَحْطُّ نُذَيْفَاتُهَا ،  
انْحَصَرَتْ فِي زَوَايَا جِدَارٍ ...

هدوء أخير

## رتابة

آخر الليل  
تقلب مقعدك الخشبي، اعتذاراً،  
ينكسه نادل لتتاوب يوم ممل  
ذات فوضاك نائمة بالسطوح  
حول رجليك هرس  
لديان بيضاء ،  
ذات الرطوبة ...  
ذات الغبار ...  
سئلي المكان  
، "ورغاً"، يترجح تحت حذاء  
، عبقاً، تركته القطط  
يتصالب فوق البلاط .

## عادة

أزيرَ جنادبَ  
أنفاسكُ المسرعاتُ ، تقطعُ ،  
تحشرفُ نورتهُ بيباسِ الضلوعِ ، جدارُ ،  
يعيدُ رتابتهُ ، كلُّ شيءٍ ،  
تحتسيه البيوتُ ، خدرُ ،  
تواصلُ إيناسها ، كلابُ ،  
البعوضُ ينزُّ حواليكَ ، رشقُ ،  
معكوفتان لكيسٍ تعمُّ فيه بقاياكَ ، رجلاكُ ،  
ينخرها الذرُّ فوق سطوحِ مصباتها خُشيتُ بالغبارِ  
تدلي أباريقَ روحٍ مهشمةٍ  
مثل منشفةٍ نُتشتُ بخيوطِ الكلامِ

سِجَارَةٌ يَتَفَحَّمُ إِسْفَنْجَهَا  
الكلمات تَرْنَحُهَا بِعِصِيّ الظلام  
نثار حروفٍ تَكَرَّرَ ابْتِرَاداً  
على وَرْقَةٍ عَسَفَتْهَا الرطوبة  
منسربٌ

للدرج ،

نفسُ

خُطَاكَ

الشانُ

سريزٌ تتاطحُهُ وتنامُ ..

## هدوء

لائذاً بطعونِ الهواءِ  
أطكُّ من السطحِ  
تبدو البيوتاتُ حاضنةً بؤسها  
كلصوصٍ تشفُّ طفولتهم نائمين  
الشوارعُ مغسولةٌ باصفرارِ مصابيحها  
وكزوجينِ يغتصبانِ هدوءاً مباحثُ ،  
نصوصٍ ترتبُ ميثاتها ،  
أنِّي  
هدوءاً أخيرُ

## ليس مهماً

أطفئُ فانوسَ قلبي ،  
فراغٌ يريي قطيعَ مراياه ناصعاً داخلي ،  
عاجزٌ مثل هذا الظلام الكثيف ،  
كهذي الرتابة ،  
ما عدتُ مكترثاً ،  
أتخيلكم تقبلون استقالةَ قلبٍ عجوزٍ  
. سأعذركم  
. أتخيلكم تأسفون قليلاً  
دوماً أفكرُ



تُرى من سيقراً هذا الظلام  
هل سيعرفُ كيف نَحَسْتُ دمامه  
راقياً درجاتِ السطوح  
حين تُضحي الكتابةُ جنةً ،  
تفسخُ أعضاؤها قبلَ تُمسيكها  
،كعُقابٍ، تحومُ انتفاختها ،  
بعد انعطابِ الأصابعِ  
تسألُ :  
لِمَ أَنْتَ تَكْتُبُ !؟

حسناً  
هاهنا يستوي أن ترتب مشروع نصي ونوم !  
أرأيتم  
يستوي أن ..... و .....  
إذن  
سوف أتركها الكلمات فقط  
لأنام ..

ضمم

م ١٩٩٦

م ٢٠٠١

فهرس النصوص:

محض كلام

٤ مشابك

٥ ...

نصوص البيت

٧ الشقة

١١ سور

١٣ الغرفة

١٤ وسام

١٥ جدران

١٦ خطوات

أشجار:

١٨ .١ خوف

- ١٩ .٢ حوائط  
٢٠ .٣ المخبأ  
٢١ قازة

### صلصال يدمع

صُور:

- ٢٥ .١ مودعة  
٢٧ .٢ علي حبيبي  
٣١ .٣ شقيقة  
٣٣ ياسمين

### منمنمات الغبار

- ٣٩ نمش  
٤٠ وحل  
٤١ مطر  
٤٢ نعش

٤٣	حریم
٤٤	حدیث
٤٥	حاجز
٤٦	p
٤٧	قباب
٤٨	غبار
	هدوء أخیر
٥١	رتابة
٥٢	عادة
٥٤	هدوء
٥٥	ليس مهما
	—

مُحَمَّد حَبِيبِي ، شاعر من السعودية  
مواليد : جازان . ضمء ١٩٦٨ م  
صدر له : (انكسرتُ وحيداً) عن دار  
الجديد بيروت لبنان ١٩٩٦ م  
(الموجءة المكئية) شعر دار طوى لندن  
والانتشار العربي بيروت لبنان ٢٠٠٧ م  
لمراسلة الشاعر :  
السعودية ، جازان . ضمء  
ص ب (٤٢)  
habibihm@hotmail.com